المبحث الثاني

القبول

تعريف القبول : (Accepptability)

القبول لغة :

قَبِلْت الهديةَ أَقْبَلُها قَبولاً وقُبُولاً . وَيُقَالُ : عليه قَبُول إذا كانت العَينُ تَقبَله ، وعلى قَبول أي تقبَله العَينُ ، يُقال : قَبِلت الشيءَ قَبُولاً إذا رَضِيته ، وتَقَبَّلتُ الشيءَ وقَبِلْته قَبُولاً ، وهو بِفَتحِ القافِ المحَبَّةُ والرِّضا بالشيءِ ومَيلُ النفس إليه[1] .

القبول اصطلاحًا :

يعرف (دي بوجراند) القبول بأنَّه «يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام»[2].

ويعرفه كُلٌّ من (فولفجانج وديتر) بأنَّه : «موقف متلقي النص حول توقع نص متماسك ومتناسق مما يعد مفيدًا أو مهمًا بالنسبة إليه يدلي السامح بشروط معرفته حول ذلك على شكل علاقات عاقبة لتكون مساهمة في تكوين التناسق في مفهوم النص»[3].

---

(١) يُنظَر : لسان العرب : (قبل) ١١/٥٤٠ ، تاج العروس (قبل) ٣٠/٢٠٩ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٤ .

إن أهمية هذا المعيار تأتي من أهمية المتلقي في عملية الاتصال ، فيكون معيار قبوله للنص ضرورة في تحليل الخطاب ، فهو بهذا الاعتبار المعيار الذي يمثل أحد طرفي عملية إنتاج النصوص «المتلقي»[1].

القبول وثقافة المتلقي :

إن المنتج للنص يسعى أن يكون قصده مقبولاً عند الملتقي ، ومن هنا وحسب «المنطق التفاعلي تصبح المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج في عملية الإنتاج»[2].

لذا كان المشترك الثقافي بين المنتج والمتلقي غاية في الأهمية في تحقيق معيار القبول . فقبول المتلقي للنص يعتمد على «ثقافته وافقه ومعرفته بعالم النص وسياقه»[3] ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم:٤)، ولسان قومه أي : لغتهم وكلامهم[4]، وليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون لم نفهم ما خوطبنا به[5].

والآية شاهد على العناصر الثلاثة لعملية الاتصال ؛ وهي المرسل (الرسول) والأداة (لسان قومه) والمتلقي (القوم) ، وفي إضافة اللسان إلى قومه دلالة على المشترك الثقافي بين المرسل والمتلقي ؛ فعود الضمير في (قومه) إلى الرسول يدخله فيهم ؛ أي هو منهم عارف بأحوالهم وعاداتهم ، ثم جعل من هذا الأمر بجملته علة لوقوع البيان فقال : (ليبين لهم) .

---

(١) يُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ ، ٣٤ .
(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .
(٣) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤ .
(٤) العين : (لن) ٨٤/٤ .
(٥) الكشاف : ٣٦٢/٣ .

القبول بين الجملة والنص .

إن تصور (دي بوجراند) من أن القبول يكون في النص الذي يتحقق فيه معيارا النص الأساسيان (السبك والحبك)[1]؛ هو ما يستعدي الكلام عن مدى تحقق القبول على مستوى الجملة . إذ إن الجملة تأتي مسبوكة ومحبوكة في أكثر صورها .

وهذا الكلام يكون عن مدى مطابقة القاعدة في الجملة من عدمه الذي يمثل السبك النحوي ، وقد جعل الدكتور (أحمد عفيفي) المقبولية ترتبط « بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك »[2] ، فهو يجعل التماسك قرينًا للقبول في حكم المتلقي للنص .

وقد انطلق الدكتور (أحمد عفيفي) من السياق المؤدي إلى المقبولية وما يجب أن يراعى فيه من صحة القواعد النحوية ، وتوافق الوقوع أو الرصف بين مفردات الجملة ليقول : « ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقي ، ولعل هذا يدل على أن المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة وعلى مستوى النص غير أنَّها تتطور في الجملة عن النص حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على المستوى الرصف وصحة القواعد النحوية ، ثم يأتي المعنى النصي المتسم بالتماسك »[3] .

كما أنَّه يبين أن المقبولية في نحو النص هي « في مقابل (مطابقة القاعدة) في نحو الجملة التي تسمح بالاحتمال الدلالي وتعدد الأوجه الإعرابية »[4] بينما يكون القبول في نحو النص « بعيدًا عن الاحتمالية الدلالية أو عن جواز أكثر من وجه إعرابي »[5] .

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤

(٢) نحو النص : ٨٧

(٣) نحو النص : ٨٩

(٤) المصدر نفسه : ٨٨

(٥) المصدر نفسه : ٨٨

والذي يظهر هو أن المقبولية في الجملة لا تتوقف على المطابقة في القاعدة النحوية فقط بل يضاف إليها مدى موافقتها للحقيقة الوضعية أو الابتعاد عنها على الرغم من كونهما قضيتين مهمتين في اكتساب الجملة معناها ، فالدكتور (محمد حماسة) يبين هذا في كلامه عن القاعدة النحوية من جانب التعليق النحوي بقوله : « إننا الآن أمام قضيتين مهمتين في اكتساب الجملة معناها أولاهما التعليق النحوي والأخرى هي درجة القبول ومدى موافقتها للحقيقة الوضعية أو الابتعاد عنها »[1] . فقضية القبول النحوي التي يتوقف عليها اكتساب الجملة معناها في مدى موافقتها للحقيقة الوضعية أو الابتعاد عنها « هي ما يُكَوِّن المجاز في العمل الأدبي ، فقد تناولها سيبويه في أول مدونته النحوية الكتاب »[2]، وذلك في « باب الاستقامة من الكلام والإحالة »[3].

وقد جعل هذا الباب خمسة أقسام هي :

١- المستقيم الحسن : مثل قولك : أتيتك أمس وسآتيك غدًا .

٢- المحال : أن تنقض أول كلامك بآخره ، كقولك : أتيتك غدًا وسآتيك أمس .

٣- المستقيم الكذب ، قولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر .

٤- المستقيم القبيح : أن تضع اللفظ في غير موضعه ، قولك : قد زيدًا رأيت وكي زيد يأتيك .

٥- المحال الكذب ، قولك : سوف أشرب ماء البحر أمس .

فالاستقامة التي ذكرها سيبويه هي الاستقامة النحوية (التعليق) ، أما القسم الرابع (المستقيم القبيح) ، فالقبيح ليس على مطلق الاستقامة النحوية بل هي محصورة في المراتب ، وقد فسرها بقوله : « أن تضع اللفظ في غير موضعه ».

---

(١) النحو والدلالة : مدخل لدراسة المعنى النحوي ـ الدلالي ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، للطباعة والنشر ، القاهرة ـ مصر ، د . ط ، ٢٠٠٦م : ١٢.

(٢) المصدر نفسه : ١٨ .

(٣) يُنظَر : الكتاب : ١/٢٥ ، ٢٦ .

أما الأحكام (الحسن ، المحال ، الكذب ، القبيح) ، فهي أحكام يصدرها المتلقي للجملة ، وهذا هو أساس معيار المقبولية إذ « ترتبط المقبولية بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك »[1].

مما تقدم يلاحظ أن وعيًا عربيًا لقضية القبول كان واضحًا في أول كتاب دَوَّن للعربية قواعدَها ، ومرد هذا الأمر أن القبول من جانب المتلقي أمر أشبه ما يكون بالفطرة اللغوية إذ إن أيَّ نص لا يُؤلَّف إلا من أجل المتلقي[2].

وإني والقول بمحدودية القبول على مستوى الجملة ؛ فالجملة حتى إذا كانت مقبولة قواعديا بمعياري السبك والحبك ، تبقى بالنظر إلى النص الكامل ذات مقبولية جزئية .

ومن هنا كان لقبول الجملة أثر في رضوح قبول النص ، وفي الوقت ذاته قد لا يتأثر قبول النص في حال انكسار القبول في الجملة ، فـ« عندما نتعامل مع نصوص غير متكاملة السبك (الربط اللفظي) والحبك (الربط المعنوي) حينئذ يتوجب علينا إدخال اتجاهات مستعملي النص ضمن معاير النصية »[3].

فـ« احتواء النص على خلل أو انقطاع في الربط المعنوي (الحبك) لا يؤدي إلى فقد النص للتقبلية ، ما دام الخلل يقع في نطاق الأحداث القصدية التي تتجه إلى هدف ، وبذلك يجب أن نميز بين ما يشترطه علم القواعد المعياري والمقبولية ؛ أي : ما هو مقبول فعلا في عمليه الاتصال »[4]. هذا من جهة كون الجملة غير موافقة لمعياري السبك والحبك ، فلم يتحقق فيها (مطابقة القاعدة).

---

(١) نحو النص : ٨٧ .

(٢) يُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٥ .

(٣) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ .

(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق ٣٤ .

أما إن تحقق فيها مطابقة القاعدة وتوافر لها معيارا السبك والحبك ، فهي وإن كانت ذات مقبولية محددة ، قد لا تؤدي بمجموعها في النص إلى قبول النص ؛ لأن القضية في النهاية أن فكرة الترابط في (مطابقة القاعدة) أضيق من أن تكون تفسيرًا كافيًا للاتصال التام الذي يظهر قبوله كمعيار كلي[1].

فالمتلقي من خلال توظيفه للأعراف اللغوية والسياقية التي أنتج النص فيها يصنع تماسكًا خاصًا لكلِّ نص يتلقاه يعينه على تجديد قبول النص الذي يعتمد على «قدرة القارئ في استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية على معرفه العالم والقصدية وأعراف الكتابة ودمجه للمعاني التي يدركها من الخطاب مع المعلومات التي يعرفها بالفعل»[2] .

القبول على مستوى الجملة في شعر الصعاليك :

إن قبول الجملة من شعر الصعاليك ، يقتضي الرجوع إلى الحديث عن الشواهد في النحو العربي وزمن الاستشهاد ، وقد مرَّ في التمهيد أن شعر الصعاليك في هذا العصر يدخل جملة في دائرة الاستشهاد النحوي واللغوي ، إذ كانت نهاية حكم الأمويين سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة الأولى من الهجرة المباركة وكانت نهاية عهد الاستشهاد في سنة سبعين ومائة من الهجرة [3] .

فعلى هذا كان لشعر الصعاليك قبول على الأقل من جهة فئة النحاة من المجتمع ، وقد تواصل هذا القبول إلى يومنا هذا من خلال صحة الاستشهاد بأشعارهم .

فمن مظاهر هذا القبول عدد الشواهد غير القليل في كتب النحاة الأوائل كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والأصول لابن السراج وغيرها [4].

---

(١) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ١٧٠ .

(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٣٤-٣٥ .

(٣) يُنظَر : خزانة الأدب : ١/٦-٧ ، والتمهيد : (مكانة شعر الصعاليك الأمويين في اللغة : أولا) .

(٤) يُنظَر : تفصيل ما ورد من شواهد شعر الصعاليك في كتب النحاة التمهيد .

ثانيا : القبول على مستوى النص .

إن الاعتماد على ثقافة المجتمع العامة واشتراك أفراده بمجموعة من المعارف تؤثر إيجابًا أو سلبًا على مدى قبول النص ، وهذا الحال لا يختلف في شعر الصعاليك عن أشعار فئة غيرهم فضلاً عن أنواع أخرى من الفنون الأدبية .

لهذا السبب أثارت جملة أبي النشناش النهشلي (ولا كسواد الليل أخفق صاحبه) عبد الملك بن مروان عندما أُنشدت قصيدته التي منها[1] : [الطويل]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ ضَاجَعَهُ الفَتَى ... وَلا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ صَاحِبُهْ

فـ « قال : لصٌّ وربِّ الكعبةِ ، وأمر بطَلَبِهِ فطُلِب فأُعْجِزَ »[2] ، فالذي يجعل عبد الملك يجزم بلصوصيته فيقسم ، الثقافة المشتركة بينهما ، فعلى الرغم من اختلاف منزلة كل منهما ، غير أن الثقافة العامة جعلته يحسن تلقي نص هذا الصعلوك .

فعندما ينقل الشاعر الصعلوك صفة ما أو يعبر عن شعور ما يكون له القبول لدى متلقيه من تلك البيئة وذلك المجتمع ، فالحجاج بن يوسف الثقفي ، إذا ما وصف بالظلم في شعر جحدر العكلي من قوله : [3] [الوافر] .

وَقُولا جَحْدَرٌ أَمْسَى رَهِينًا ... يُحَاذِرُ وَقْعَ مَصْقُولٍ يَمَانِي

يُحَاذِرُ صَوْلَةَ الحَجَّاجِ ظُلْمًا ... وَمَا الحَجَّاجُ ظَلاَّمًا لِجَانِي

---

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٥٠/١ ، وديوان اللصوص : ٢٨٦/٢ . فيهما (أخفق طالبه) . يقول الأعلم الشنتمري : «الإخفاق الخيبة» شرح حماسة أبي تمام : ٦٣٣/٢.

(٢) الجليس الصالح الكافي : ٢١٢/٣ .

(٣) شعراء أمويون : ١٨٦/١ .

فهذا النص يُعَدُّ مقبولاً إذ إن سمعة الحجاج بالظلم لا تخفى ، ومثل هذا القبول يمكن أن يصدق عليه تسمية (القبول بعيد الأمد) إذ إن القبول في النص يمكن أن يكون قصير الأمد ، يصدق على مكان أو موقف محدد .

الأماكن ودورها في القبول :

الأماكن التي يذكرها الشعراء الصعاليك في هذا العصر تشكل عنصرًا من عناصر القبول لدى المتلقي غير أن مثل هذا الأماكن قد لا يكون لها وجود حتى يسجل المتلقي لها اليوم قبوله ؛ لذا أرى أنَّها تشكل أقل قبولاً إذا ما قورنت بما له ذكر في واقعنا . ويمكن أن يتضح هذا الدور للأماكن من خلال نموذجين منها ، هما : السجون والبلدان ، المذكورة في أشعارهم وهي :

السجون :

١- دَوَّار : بفتح أوله وتشديد الثاني وآخره راء ، سجن باليمامة سجن فيه غير واحد من الصعاليك مثل : جحدر العكلي وعُطَارِد بن قُرَّان [١].

٢- الديماس : ذكره جحدر العكلي [٢] .

٣- البيضاء : ذكره جحدر [٣] .

٤- دوران : ذكره جعفر بن عبلة الحارثي [٤] .

٥- حجر : ذكره عُطَارِد بن قُرَّان [٥] بقوله : [البسيط] .

إِنِّي وَأَحْشَنَ فِـي حِجْـرٍ لَمُخْتَلِفَـا ... حَالٍ وَمَـا نَـاعِمٌ حَـالاً كَمَجْهُـوْدِ

كَأَنَّمَا أَهْـلُ حِجْـرٍ يَنْظُـرُوْنَ مَتَـى ... يَرَوْنَنِـي خَارِجًـا طَيْـرَ اليَنَادِيْـدِ

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ويُنظَر : معجم البلدان : ٢/٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١/١٧٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١/١٧٧ .

(٤) يُنظَر : ديوان اللصوص : ١/١٩٤

(٥) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١/١٠٤ . وَطَيْرٌ يَناديدُ وأَنادِيدُ : متفرقةٌ ، لسان العرب : (ندد) ٣/٤٢٠ .

ولعل السجن سُمي باسم المدينة الذي هو فيها وقد وذكرها السمهري العكلي أيضًا[1] .

على الرغم من اختلاف أماكن وجود هذه السجون غير أنَّها مشتركة في حالها وأنَّها شديدة على نازليها وهي أماكن للعذاب والظلم بنظر المسجونين ، وهذا الاشتراك مع تعدد الأماكن وتعدد من ذكرها يقوي من قبول النصوص التي وردت بها ، ولاسيما أنَّها واقعة في عصر الأمويين الذي عرف ولاته بالشدة على المخالف ، وكان من هؤلاء المخالفين الصعاليك .

وهذا القبول الذي ترسمه هذه الأماكن في ذهن المتلقي ينبع من توافق صورة السجن في ذهن المتلقي الذي تحكمه الخلفيات الثقافية له ، وبطبيعة الحال يكون السجن مكانا للقهر والظلم في مثل بيئة هؤلاء الشعراء ، فلزم مطابقة هذه الصورة مع ، وصف الشعراء الصعاليك للسجون ، والتصريح بذكر أسمائها .

كما أن تداول المتخصصين لقضية ما ، يعضد من قبولها ، فالشعراء الصعاليك هم متخصصون في الاضطهاد والزج في السجون ، فذكرها عندهم وتكرار ذلك الذكر يكتب لها القبول لدى المتلقي ولو على مستوى ذلك المجتمع .

البلدان : إنّ بعض الأماكن تضفي على النص قبولاً لأمد بعيد ، كون هذه الأماكن ما تزال معروفة مذكورة وإن تغير بعضها توسعًا أو ضيقًا في الوقت الحاضر .[2] منها :

١- العراق : ذكره طهمان بن عمرو الكلابي بقوله : [3] [الطويل] .

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٤٥ .

(٢) أكثر هذه البلدان قد تغيرت حدودها عما كانت عليه قديمًا ، كالعراق مثلاً فقد كان أكبر مساحة عما هو عليه اليوم ، بحسب توصيف ياقوت الحموي ، يُنظَر : معجم البلدان : ٤/٩٤ .

(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٢ .

وَلَبِّئْتُ لَيْلَى بِالعِرَاقِ مَرِيضَةً فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي وَأَنْتَ صَدِيقُ
سَقَى اللهُ مَرْضَى بِالعِرَاقِ فَإِنَّنِي عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالعِرَاقِ شَفِيقُ

٢- عُمَان : ذكره السمهري العكلي [١] : [الطويل] .

أَقُولُ لِأُذْنَى صَاحِبِيَّ نَصِيحَةً وَلِلأَسْمَرِ المِغْوَارِ مَا تَرَيَانِ
فَقَالَ الَّذِي أَبْدَى لِيَ النُّصْحَ مِنْهُمَا أَرَى الرَّأْيَ أَنْ تَجْتَازَ نَحْوَ عُمَانِ

٣- اليمامة : يذكرها طهمان بن عمرو الكلابي بقوله [٢] : [الطويل] .

مَلَلْتُ ثَوَاءً بِاليَمَامَةِ لا أَرَى مِنَ النَّاسِ إلا العَبْدَ يَحْدُو السَّوَانِيَا

٤- نجران : ذكره طهمان بن عمرو الكلابي [٣] [الطويل] .

أَلا هَزِئَتْ مِنِّي بِنَجْرَانَ إِذْ رَأَتْ عِشَارِيَ فِي الكَبْلَيْنِ أُمُّ أَبَانِ

وذكره عُطَارد بن قُرَّان أيضًا [٤] .

٥- نجد : يقول عُطَارد بن قُرَّان [٥] : [الطويل]

طَرِبْتَ إِلَى نَجْدٍ وَمَا كِدْتَ تَطْرَبُ وَهَبَّتْ جَنُوبٌ مَسُّهَا لَكَ مُعْجِبُ

وذكره القتال الكلابي [٦]، وجعفر بن علبة الحارثي [٧] :

٦- المدينة : يقول مالك بن الريب [٨] : [الوافر] .

---

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٤٥/١ . وشعراء أمويون : ١٤٨/١ . وفي : (وبالأسمر) ولعله خطأ وقع في الطباعة . والأسمر رجل من طي . يُنظَر : ذيل الأمالي والنوادر : ٧٦/٣ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٥١ ، وديوان اللصوص : ٣٦٥/١ ، وفيهما أن البيت من الكامل والصواب أنه من بحر الطويل .

(٣) المصدر نفسه : ١٥٨ ، وديوان اللصوص : ٣٦٩/١ ، ٣٧١ ، ١٩/٢ .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٠٦/١ .

(٥) المصدر نفسه : ١٠٣/١ .

(٦) ديوان القتال الكلابي : ٣٠ .

(٧) ديوان اللصوص : ١٩٩/١

(٨) شعراء أمويون : ٣١/١ .

وإنْ يُقْلـتْ فـإنّي سَـوْفَ أبغِـي بنِيْـه بالمَدِيْنَـة أوْ صِـرَارِ

٧- ذي قار : ذكرها الخطيم المحرزي[١] : [الطويل] .

لَهَا بَـيْنَ ذي قَـارٍ فَرَمْـلِ مُخَفَّـقٍ مِنَ القُفِّ أوْ مِن رَمْلِه حَـيْنَ أرْبَـدَا

وذكرها المرّار الفقعسي[٢] .

الشام : ذكرها الخطيم المحرزي[٣] : [الطويل] .

أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ قُـرَى الشَّـامِ مَنْـزِلاً وأَجْبَالِهَـا لَـوْ كَـانَ أنْ أتَـوَدَّدَا

عَمّان : ذكرها الخطيم المحرزي[٤] : [الطويل] .

أَعُوذُ بِرَبِّـي أنْ أرَى الشَّـامَ بَعْـدَهَا وَعَمَّانَ مَـا غَنَّـى الحَمَـامُ وَغَـرَّدَا

الخوف والتشرد في شعر الصعاليك الأمويين :

يظهر لي أن من مظاهر القبول في شعر الصعاليك ، أنّه شعر ينقل طباع هؤلاء الشعراء وما يعانون من ملاحقة السلطان لهم ، والتشرد والترقب الشديد الممتلئ بالحذر واليقظة ، ولعل النص من شعرهم يكون مشحونًا بمثل هذه المواقف التي تستدعي قبول المتلقي من خلال معرفته بشدة السلطان في تعقب الصعاليك ، مما أدى إلى انقطاع نفر منهم لسنين طوال في الصحراء . هربًا من الولاة فمضت به الأيام والليالي خائفًا ، وهذا شأن المطارد في كُلّ أوان ومكان.

وفي هذا يقول القتال الكلابي[٥] : [الطويل] .

---

(١) شعراء أمويون: ١/٢٦٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٢/٤٦٣ .

(٣) شعراء أمويون : ١/٢٦٤ .

(٤) المصدر نفسه : ١/٢٦٤ .

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٤٥ . عماية جبل بالبحرين هرب إليه القتال الكلابي بعد أن قتل رجلا . يُنظَر : معجم البلدان : ٤/١٥٢ . وازدَهَيت فُلانًا أي تَهاوَنْتُ به . وازْدَهَى فُلانٌ فُلانًا إذا استَخَفّه . وزَهاه وازدَهاه : استَخَفّه وتهاونَ به . يُنظَر : لسان العرب : (زها) ١٤/٣٦١ . وهَضْبة معْنقة وعَنْقاء : مُرتَفِعَةٌ طَوِيلَةٌ ، لسان العرب : (عنق) ١٠/٢٧٢ . وكلُّ مَا طَالَ عُنُقُه من البَهَائم عَيطَلٌ . والعَيطَل : الناقةُ الطويلَةُ في حُسن مَنظَر وسِمَن . لسان العرب : (عطل) ١١/٤٥٥ . القِلات : جَمْعُ قَلَتٍ للنُّقرة في الْجَبَلِ . لسان العرب : (خطط) ٧/٢٨٩ .

جَـزَى اللهُ عَنَّـا والجَـزَاءُ بِكَفِّـهِ عَمَايَـةَ خَيْـرًا أُمَّ كُـلِّ طَرِيْـدِ
فَلا يَزْدَهِيْهَا القَـوْمُ إنْ نَزَلُـوا بِهَـا وَإنْ أَرْسَـلَ السُّـلْطَانُ كُـلَّ بَرِيْـدِ
حَمَتْنِي مِنْهَـا كُـلُّ عَنْقَـاءَ عَيْطَـلٍ وَكُلُّ صَـفَا جَـمِّ القِـلاَتِ كَنُـودِ

وكذلك قول القتال الكلابي : [1] [الطويل]

أَ يُرْسِـلُ مَـرْوَانُ الأَمِيْـرُ رِسَـالَةً لِآتِيَـهِ إنِّـي إذَنْ لَمُضَـلَّلُ
وَمَا بِـيَ عِصْـيَانٌ وَلاَ بُعْـدَ مَنْـزِلٍ وَلَكِنَّنِي مِن خَـوْفِ مَـرْوَانَ أُوْجَـلُ

ويقول أيضًا [2] : [الطويل] .

كَـأَنَّ بِـلادَ اللهِ وهْـيَ عَرِيضَـةٌ عَلَى الخَائِفِ المَطْلُـوبِ كَفَّـةُ حَابِـلِ
يُـؤَدَّى إِلَيْـهِ أَنَّ كُـلَّ ثَنِيَـةٍ تَيَمَّمَهَـا تُـوحِي إِلَيْـهِ بِقَاتِـلِ

ويقول مالك بن الريب في هذا المعنى : [3] [الطويل] .

أَحَقًّا عَلَى السُّلْطَانِ أَمَّـا الَّـذِي لَـهُ فَيُعْطَـى وَأَمَّـا مَـا يُـرَادُ فَيَمْنَـعُ
إِذَا مَا جَعَلْتُ الرَّمْـلَ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ وَأَعْرَضَ سَهْبٌ بَـيْنَ يَبْـرِيْنَ بَلْقَـعُ
مِنَ الأُدْمَى لاَ يَسْـتَجِمُّ بِهَـا القَطَـا تَظَـلُّ الرِّيَـاحُ دَوْنَـهُ تَتَقَطَّـعُ
فَشَـأْنُكُمُ يَـا آلَ مَـرْوَانَ فَـاطْلُبُوا سِقَاطِي فَمَـا فِيْـهِ لَبَاغِيْـهِ مَطْمَـعُ

---

(١) ديوان القتال الكلابي : ٧٧ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٩٩ . وكلُّ مَا اسْتَدَارَ فَهُوَ كِفَّة ، بِالْكَسْرِ ، نَحْوَ كِفَّةِ الْمِيزَانِ وكِفَّةِ الصَّائِدِ ، وَهِيَ حِبالته ويقال أيضا كَفَّة الميزَان ، بالفتح ، والجمع كِفَفٌ ؛ قال ابن بَرِّيٍّ : شَاهِده قول الشاعر . لسان العرب : (كفف) ٩/٣٠٤ .

(٣) شعراء أمويون : ١/٣٤ وديوان اللصوص : ٢/١٦٤ وفيه (تَكلُّ الرياح) . والسَّهب : سبخة بين الحمّتين والمضياعة تبيض بها النعام . معجم البلدان : ٣/٢٨٩ . يَبْرِين : بالفتح ثم السكون ، وكسر الراء ، وياء ثم نون . قال السكري : يبرين بأعلى بلاد بني سعد ، وهناك مواضع أخرى بهذا الاسم . ينظر : معجم البلدان : ٥/٤٢٧ . والجُمَّة : المَاءُ نَفْسُه . واسْتَجَمَّتْ جُمَّةُ المَاءِ : شَرِبَتْ واسْتَقَاها الناسُ . لسان العرب : (جمم) ١٢/١٠٥ . والعَيْرُ : الحمار الأهليّ والوحشيّ . العين : (عور) ٣/٢٥٣ .

وَمَـا أَنَـا كَـالعَيْرِ المُقِـيْمِ لَأَهْلِـهِ عَلَى القَيْدِ فِي بَحْبُوحَةِ الضَّـيْمِ يَرْتَـعُ

ولشدة السلطان على الصعاليك كان لا بُدَّ من استسلام بعضهم إلى الطاعة منهم (الخطيم المحرزي) ، فقد قال مستجيراً بسيلمان بن عبد الملك : [1] [الطويل] .

بِذِي شُـقَّةٍ جَـوَّابِ أَرضٍ تَقَاذَفَـتْ بِهِ سَارَ حَتَّـى غَـارَ ثُمَّـتَ أَنْجَـدَا
أَعِذْنِي عِيَـاذًا يَـا سُـلَيْمَانُ إِنَّنِـي أَتَيْتُكَ لَمَّا لَمْ أَجِـدْ عَنْـكَ مَقْعَـدَا
لِتُؤْمِنَنِي خَوفَ الَّـذِي أَنَـا خَـائِفٌ وَتُبْلِغَنِـي رِيْقِـي وَتُنْظِرُنِـي غَـدَا
فِرَارًا إِلَيْـكَ مِـنْ وَرَائِـي وَرَهْبَـةً وَكُنْـتُ أَحَـقَّ النَّـاسِ أَنْ أَتَعَمَّـدَا

وفي حياة الخوف والتشرد عاش (الخطيم) أمداً من الزمان حتى أنَّه يلوم صاحبه على النزول في طريق آخر الليل فيقول : [الطويل] [2].

فَقُلْتُ لَـهُ كَيْـفَ الإِنَاخَـةُ بَعْـدَمَا حَدَا اللَّيْلَ عُرْيَانُ الطَّرِيْقَـةِ مُنْجَلِـي
أَلاَ تَرْهَبُ الأَعْدَاءَ أَنْ يَمْحَلُـوا بِنَـا أَوْ البَعْثَ مِـن ذَاكَ الأَمِيْـرِ المُوَكَّـلِ

ومثل هذا الحذر وقع للسمهري العكلي : [الطويل] [3].

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَابْنَ أَبْـيَضَ قَـدْ جَفَـتْ بِنَـا الأَرْضُ إِلَّـا أَنْ نَـؤُمَّ الفَيَافِيَـا
طَرِيْدَيْنِ مِـنْ حَيَّـيْنِ شَـتَّى أَشَـدَّنَا مَخَافَتُنَـا حَتَّـى نَخَلْنَـا النَّصَـافِيَا

---

(١) شعراء أمويون : ٢٦٦/١ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٦٧/١-٢٦٨ . حدا يحدو حدْوا وحُداء وحِداء ، ولاَ أَفْعَله مَا حَدَا الليلُ النهارَ ؛ أي ما تَبِعَهُ . يُنظَر : لسان العرب : (حدا) ١٩٦/١٤ . يُقَالُ : مَحَلْت بِفُلاَنٍ أَمحَلَ إذا سَعَيتَ به إلى ذي سُلطَانٍ حتى تُوقِعه في وَرطة ووَشَيْتَ به . لسان العرب : (محل) ٦١٨/١١ .

(٣) شعراء أمويون : ١٤٩/١ . إذا نَخَلْتَ أشياء لتستقصي أفضلها قلت : نَخَلْتُ وانتَخَلْتُ . فالنَّخْل : التصفية ، لسان العرب : (نخل) ٢٦٤/٤ .

وقد يكون غير الخوف من المشاعر هو ما يلقي على النص القبول ؛ مثل الملل عند (طهمان بن عمرو الكلابي) ؛ لأنَّه كان يسكن (العارض) جبل اليمامة بعد أن قتل رجلاً ، فقال[1] : [الطويل] .

مَن مُبْلِغٌ عَبْدَ العزيزِ ومُحْفِنَا ... وذُبْيَانَ أَنِّي قَدْ مَلَلْتُ ثَوانِيا

مَلَلْتُ ثَواءً باليَمَامَةِ لا أَرَى ... مِنَ الناس إلا العَبْدَ يَحْدُو السَّوانِيا

وأَشْرَبُ لَيْلا ثُمَّ أُصْبِحُ طَاوِيًا ... تَظَل عِنَاقُ الطَّيْرِ حَوْلِي حَوَانِيا

مبررات القبول عند المتلقي :

هناك مبررات يمكن أن تؤثر على المتلقي ، يتعمد المنتج تضمينها ؛ ليكون النص بها أكثر قبولا عند إحداث عملية الاتصال ، ومن هذه المبررات ما هو عناصر غير لغوية ، قد تكون اعتقادية ، أو عقلية ، أو عاطفية ، أو مبررات حالية ، ومنها ما تكون لغوية تذكر في النص تكون مبرراً لقبول المتلقي .

المبررات غير اللغوية

١- الاعتقادية :

وهي أخبار تذكر في النص تكون من المقبولات التي « هي قضايا تؤخذ ممن يعتقد فيه إما لأمر سماوي من المعجزات ، والكرامات كالأنبياء والأولياء ، وإما لاختصاصه بمزيد عقل ودين كأهل العلم والزهد »[2] .

---

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٥١-١٥٢ . وتوهم المحقق في تخريج البحر على أنه الكامل ، وتبعه على هذا الوهم محمد نبيل طريفي في ديوان اللصوص : ٣٦٥/١ ؛ لأن البيت الأول دخله الخرم ، وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع فـ (فعولن) تصير عولن . والسواني جمع السّانيةُ : النّاقة يُسقَى عليها للأرضين . يُنظَر : العين : (سنو) ٢٨٦/٢ . وطوى فلان نهاره جائعاً يطوي طَوىً فهو طاو . العين :(طوى) ٦٩/٣ . حَنَا الشيءَ حَنْوًا وحَنْيًا وحَنَّاهُ : عَطَفَه . وانْحَنَى الشيءُ : انعَطَفَ . وانحَنَى العُودُ وتَحَنَّى : انعَطَفَ . يُنظَر : لسان العرب : (حنا) ٢٠٢/١٤ .

(٢) التعريفات ، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د . ط ، د . ت : ١٩٠ .

وفي مقدمة هذه النصوص شرفًا وكرامة القرآن الكريم ، فاعتقد أهل السنة والجماعة أنَّه « كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود»[1].

وهذا الاعتقاد يوجب القبول بكل ما ورد فيه إجمالاً وتفصيلاً من أخبار الجنة والنار والبرزخ ، وذكر الأمم السالفة وأخبار أنبياء الله ومعجزاتهم .

واستعمل الشعراء الصعاليك المبررات الاعتقادية في شعرهم ، منهم (طهمان بن عمرو الكلابي) ، وهو يستعطف (عبد الملك بن مروان) للعفو عنه في حكم قطع يده فيقول[2] : [الطويل]

وإنَّك مسئولٌ بحُكْمِكَ في يَدِي على حَالةٍ مِن رَبِّنا ستَكُونُها

يرى أنَّه مظلوم بحكم قطع يده ؛ لجاء بمبرر اعتقادي وهو (حساب يوم القيامة) ، وقد أسهم ذكر هذا الاعتقاد في استمالة قلب الخليفة ، ثم قبول هذا النص بدليل العفو عنه ؛ لِما تضمنه من مبرر اعتقادي .

وقد استعمل (أبو النشناش النهشلي) هذا المبرر أيضًا في موقف وقع له ، فقال : [3] [البسيط] .

قَالُوا لِصَاحِبِهِمْ هَيْهَاتَ تَلْحَقُهُ فَارْجِعْ بِنَا وَدَعِ الأَعْرَابَ فِي النَّارِ

إنَّ القَضَاءَ سَيَأْتِي دَوْنَهُ أَمَدٌ فَاطْوِ الصَّحِيْفَةَ وَاحْفَظْهَا مِنَ الفَارِ

هذا حوار ينقله الشاعر جرى على لسان قوم يتبعون آثاره بعد ما سرقهم ، وكان قد سمع لمقالة وقعت بينهم ، فوقع في نفسه قبولها ودليل هذا القبول نقله لها في شعره ، وقد جاء هذا القبول على الرغم من سوء ظرف الشاعر فهو

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم ، وساعده ابنه محمد ، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ، بالمملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ٣٧/١٢ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٣٠ .

(٣) ديوان اللصوص ٢٨٩/٢

مطارد لا يعمل بالظن والحدس .ومع هذا يقع منه القبول ؛ لما تضمنه كلامهم من مبررات اعتقادية أقنعت الشاعر بالقبول ، فعنصر اليأس لديهم (هيهات تلحقه) مبرره (دع الأعراب في النار) فهم يرونه من أهل النار ، فعقوبته إن لم تكن على أيديهم عاجلة فهي لا محالة آجلة له يوم القيامة ؛ لذا أشفعوا كلامهم بتأكيد هذا المبرر بـ(إن القضاء سيأتي دونه أمد) فحسابه لا ينقصه إلا الوقت .

٢- العقلية :

هناك مبررات منطقية يضمنها المنتج في النص ، مما يُلزم المتلقي قبولها عقلا ، وتسمي (الأدلة العقلية) وهي الأدلة التي تدل بنفسها على الشيء[١] .

وقد تجمع الدلالة العقلية بالدلالة الشرعية كما في القرآن الكريم يقول ابن تيمية : «دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية فهي شرعية ؛ لأنَّ الشرع دلَّ عليها وأرشد إليها وعقلية ؛ لأنَّها تعلم صحتها بالعقل ولا يقال أنَّها لم تعلم إلا بمجرد الخبر»[٢] .

قال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

(المؤمنون:٩١) .

فالعقل يحكم لو كان هناك إله مع الله «لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ، ولرأيتم ملك كل واحد منهم مميزا عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم على بعض كما ترون من حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون»[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية : ٢٠/٤١٣-٤١٤ .
(٢) المصدر نفسه : ٦/٧١ .
(٣) الكشاف : ٤/٢٤٦ .

وقد تنفرد دلالة العقل في غير القرآن والسنة كالشعر وغيره ، فتكون عقلية لا شرعية . ويظهر هذا المبرر بوضوح في غرض الحكمة من الشعر ، مما يزيد في قبوله لدى المتلقين . ومنه قول جحدر العكلي[1] : [الطويل] .

إِذَا شِئْتَ تَدْرِي مَا نُفُوسٌ قَبِيلَةٍ وَأَخْطَارُهَا فَانْظُرْ إِلَى مَنْ يَرُوسُهَا

المبرر العقلي في هذا البيت هو أن الناس على دين ملوكهم فالرئيس يمثل قومه ورعيته . وقوله : [الطويل] [2].

إِذَا انْقَطَعَتْ نَفْسُ الفَتَى وَأَجَنَّهُ مِنَ الأَرْضِ رَمْسٌ ذُو تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

رَأَى أَنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَأَنَّمَا ثَوَابُ الفَتَى فِي صَبْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ

من المنطق أن يرى الإنسان غرور الدنيا عندما يدركه الموت ويساق إلى قبر ، فهي دلالة شرعية العقل يقررها .

وما جاء من غير الحكمة ، قول طهمان بن عمرو الكلابي[3] : [الطويل]

سَقَى حَيْثُ حَلَّ الحَارِثِيَّاتُ مِنْ حِمًى زُحُولٌ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ أَمْطَرَا

إن التجربة والممارسة الحياتية أضافت معارف للعقل ، فالمطر ينزل غالبًا بعد هبوب الريح ؛ لذا أصبح تضمين النص هذه القضية (نزول المطر عند هبوب الريح) يُعد مبررًا عقليًا يسهم في قبوله .

٣- العاطفية :

لا شك في أن العوامل النفسية ، العاطفية منها على وجه الخصوص تؤثر على مدى قبول المتلقي لنص ما ، وهذا المبرر قد ينصب على المنتج نفسه أو على النص ، فلو أن متلقيًا تربطه علاقة حُبٍّ بالمنتج ستدفع هذه العاطفة

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٧ . يُقَالُ : إنه لِرَفِيعُ الخَطَرِ وَلَئِيمُهُ . وَيُقَالُ : إنه لعظِيمُ الخَطَرِ وَصغِيرِ الخَطَرِ في حُسنِ فِعالِهِ وشَرَفِهِ وسوءِ فِعالِهِ ولُؤْمِهِ . وخَطَرُ الرجلِ : قَدْرُه ومَنْزِلَتُه ، لسان العرب : (خطر) ٤/٢٥١ .

(٢) شعراء أمويون : ١/١٨١ .

(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٢٠ .

نحو قبوله للنص الصادر عنه وكذا الحال مع غرض النص (مدح، هجاء، غزل، رثاء . . . إلخ) بحسب ميول المتلقي .

وقد أظهر القرآن الكريم مدى تأثير العاطفة في قبول النص حتى إن كانت في مقام اللوم والذم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف:٣٠) .

هذا النص تضمن كلام نسوة المدينة في ذم امرأة العزيز ، فكانت العادة في مثل هذه التهمة أن تُنفى وتُنكر ، فقد أنكرت امرأة العزيز مكرها من قبل ، في ما جاء على لسانها : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ (يوسف:٢٥).

ولكن العاطفة تجاه يوسف (عليه السلام) في هذا الموقف لم توقفها إلا في نشوة الاعتراف فبعد أن قامت بعرضه عليهن فحصل الإكبار له والإجلال قالت : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (يوسف:٣٢) .

فهي التي تلقت هذا النص وجاء مقبولا لديها حتى ولو في ذمها ولومها لمبرر تراه هو العاطفة (العشق) ليوسف (عليه السلام) .

وقد جاء مثل هذا المبرر فيما يقول : الخطيم المحرزي [1] : [الطويل] .

وَمَا لاَمَنِي فِـي حُـبِّ عَـزَّةَ لاَئِـمٌ ... مِنَ النَّاسِ إلا كَانَ عِنْدِي مِـنَ العِـدَا

وَلاَ قَالَ لِـي أَحْسَـنْتَ إلا مَدَحْتُـهُ ... بِـمَا قَالَ ثُـمَّ اتَّخَـذْتُ لَـهُ يَـدَا

فَلَوْ كُنْتَ مَشْعُوفًا بِعَـزَّةَ مِثْـلَ مَـا ... شَعِفْتُ بِهَا مَا لُمْتَنِي يَـا ابـنَ أَرْبَـدَا

فالشاعر هنا يحكمه مبرر العاطفة فهو يرفض قول كل لائم له في حبه بل يعاديه ، وفي المقابل يمدح من يذكر حبه لعزة بأنّه قد أحسن فيه فهو ممدوح عنده بل يرى أنّه فعل معه بذلك جميلا ومعروفًا لا ينساه .

---

(١) ديوان اللصوص : ٢٣٧/١ . وشَعَفَه الهَوى إذا بَلَغَ مِنهُ ، وفُلاَنٌ مَشْعُوف بفلانة . لسان العرب : (شعف) ١٧٧/٩-١٧٨ .

وبما أن الكلام عن مبرر العاطفة ؛ لقبول النص ، تجدر الإشارة إلى السياق العاطفي الذي « يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالا »[1] . وقد جاء به (طهمان بن عمرو الكلابي) إذ يقول[2] : [الطويل] .

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الخَارِجِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ مُسَجًّى فِي الثِّيَابِ أَسُوْقُ
حَنُوْطِي وَأَكْفَانِي لَدَيَّ مُعَدَّةٌ وَلِلنَّفْسِ مِنْ قُرْبِ الوَفَاةِ شَهِيْقُ
إِذنْ لَحَسِبْتُ المَوْتَ يَتْرُكُنِي لَهَا وَيَفْرُجُ عَنِّي غَمَّهُ فَأَفِيْقُ

وهذا الانفعال متفاوت حسب نوع العاطفة ، فعاطفة العاشق تختلف من عاطفة الوالد تجاه أبنائه ، أو العاطفة بين الأصحاب والأقارب ، وهذا هو ما اقتضى القوة أو الضعف بمظاهر التأكيد أو المبالغة أو الاعتدال سابقة الذكر فبالتالي الغرض الشعري المتضمن للعاطفة يتفاوت بتفاوت هذه العاطفة فالنص الشعري في الغزل يمتاز عن النص في رثاء أو النص في ذكر الأبناء ، وهذا يتطلب من المتلقي معرفةً بسياق العاصفة أما قبول النص من خلال هذا المبرر متوقف على ميول المتلقي العاطفية ، مع ملاحظة أن العاطفة غالبًا ما تكون مقبولة من قبل المتلقين بكل أنواعها ولو بنسب متفاوتة .

وخير ما يمثل العاطفة الغزل ، ولعل قصيدة المَرَّار الفقعسي[3] كفيلة بالإيضاح وهي : [الطويل] .

---

(١) علم الدلالة : الدكتور أحمد مختار عمر : ٧٠ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠١ . سوق : سُقتُه سوقاً ، ورأيته يسوق سياقاً أي ينزع نزعاً يعني الموت . العين : (سوق) ٢٩٤/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٣٨/٢-٤٣٩ . وداراه من نواحي البحرين يقال له جوف داراه ، معجم البلدان : ٤١٨/٢ . والرمل أكثر من موضع منها مدينة عظيمة في فلسطين . ينظر : معجم البلدان : ٦٩/٣ . وتيماء بالفتح والمدّ : في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاجّ الشام ودمشق ، معجم البلدان : ٦٧/٢ . وعلوي الرياح : العلويّ : نسبة إلى عالية نجد ينظر : معجم البلدان : ١٤٧/٤ . والحمى بكسر الحاء المهملة والقصر : جبل يسمى : أسْود الحِمى . معجم البلدان : ١٩٢/١.--

لَعَمْرُكَ مـا مِيْعـادُ عَيْنِيـكَ والبُكـا ... بِـــدَارَاءَ إلا أنْ تَهُـــبَّ جَنُـــوبُ

أُعَاشِـــرُ فِـــي دَارَاءَ مَـــنْ لاَ أُحِبُّـــهُ ... وَبِالرَّمْـــلِ مَهْجُـــوْرٌ إِلَـــيَّ حَبِيْـــبُ

إِذَا رَاحَ رَكْـــبٌ مُصْـــعِدِيْنَ فَقَلْبُـــهُ ... مَـــعَ الـــرَّائِحِيْنَ الْمُصْـــعِدِينَ جَنِيْـــبُ

إِلَى اللهُ أَشْكُو لاَ إِلَـــى النَّـــاسِ أَنَّنِـــي ... بِتَيْمَـــاءَ تَيْمَـــاءَ الْيَهُـــودِ غَرِيْـــبُ

وَأَنِّـــي بِتَهْتَـــابِ الرِّيَـــاحِ مُوَكَّـــلٌ ... طَـــرُوْبٌ إِذَا هَبَّـــتْ عَلَـــيَّ جَنُـــوْبُ

وَإِنْ هَبَّ عُلْـــوِيُّ الرِّيَـــاحِ وَجَـــدْتَنِي ... كَـــأَنِّي لِعُلْـــوِيِّ الرِّيَـــاحِ نَسِـــيْبُ

وَإِنَّ الكَثِيْبَ الفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الحِمَـــى ... إِلَيَّ وَإِنْ لَـــمْ آتِـــهِ لَحَبِيـــــبُ

وَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَـــمْ تَـــزُرْ ... حَبِيْبًا وَلَـــمْ يَطْـــرَبْ إِلَيْـــكَ حَبِيْـــبُ

وَكَانَتْ رِيَـــاحُ الشَّـــامِ نُكْـــرَةُ مَـــرَّةً ... فَقَدْ جَعَلَتْ تِلْـــكَ الرِّيَـــاحِ تَطِيْـــبُ

هَنِيْئًـــا لَخَـــوْطٍ مِـــنْ بِشَـــامٍ يُرِفُّـــهُ ... إِلَـــى بَـــرَدٍ شَـــهْدٌ بِهِـــنَّ مَشُـــوْبُ

بِمَا قَدْ تَسَقَّى مِـــنْ سُـــلاَفٍ وَضَـــمَّهُ ... بَنَانٌ كَهِـــدَّابِ الـــدِّمَقْسِ خَضِـــيْبُ

إِذَا تُرِكَتْ وَحْشِيَّةُ النَّجْدِ لَـــمْ يَكُـــنْ ... لِعَيْنَيْـــكَ مِمَّـــا تَشْـــكُوَانِ طَبِيْـــبُ

القصيدة من بحر الطويل الثالث ، فهي بضرب محذوف فيها إيطاءان الأول وقع بين البيت الأول والبيت الخامس في كلمة (جنوب) والآخر وقع في البيت الثاني والبيت السابع في كلمة (حبيب) الإيطاء عيب من عيوب القافية[1].

-- والخُوْطُ : الغصن الناعمُ لسنتهِ . العين : (خوط) ٤٥٢/١ . والبَشامُ : شَجَرٌ طيّب الرّيح والطّعم يُستاكُ بِهِ لسان العرب : (بشم) ٥٠/١٢ . وتَسَقَّى الشيءُ : قَبِلَ السَّقْيَ . لسان العرب : (سقى) ٣٩٣/١٤ .

(١) يُنظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ) ، حققه وفصله وعلق على حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط/٥، ١٩٨١م : ١٦٩/١ ، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، يشتمل على فنون الشعر الخمسة عشر ، تأليف العلامة ، السيد أحمد الهاشمي ، شركة الفاتحين ، القاهرة ـ مصر ، ط/١، ٢٠٠٧م : ١٠٤، يكون بإعادة اللفظ بمعناه في قصيدة واحدة يفصل بينهما أقل من سبعة أبيات ، وكلما تباعد كان أخف وكذلك إذا خرج من غرض إلى غرض .

ولهذا البحر خصوصية عند شعراء الغزل الأمويين كما ذكر الدكتور (عبد الله الطيب) فعنده : «مما يدلك على سعة الطويل أنَّه تقبل من الشعر ضروبًا عديدة كاد ينفرد بها عن البسيط مثال ذلك أن الشعراء الغزليين على عهد بني أمية أكثروا من النظم فيه على أنَّهم أقلُّوا جدًا من البسيط»[1].

يبدأ الشاعر قصيدته بقسم (لعمرك) ، وهذا يوحي بصدقه لتوكيده الكلام ثم هو يقسم على أمر معهود هو بكاء الحبيب في دار الغربة ، فقد ركز المَرَّار في هذه القصيدة على أن العاطفة أشد ما تكون وهو غريب ، ولا سيما أنَّه يعاشر من لا يحبهم في دار غربته (داراه) ، ثم يجعل داعي البكاء قدوم الرسول من الحبيب (جنوب) فقوله (إلا أن تهب جنوب) «لا يمتنع أن يكون المراد ما ميعاد عينك مع البكاء بهذا المكان إلا إذا هبت الجنوب . وإنما قال ذلك ؛ لأنَّها تهدي إليه أريحتها أو يعتقد أنَّها رسولها فتجدد ذكرها وتطري الوجد بها فيبكي شوقا إليها»[2].

ثم يمهد المَرَّار ليبث شكواه ويرفع صوته بالحنين ، بذكر القوم المصعدين أن القلب المُعَنَّى مع هؤلاء الذي بدءوا سفرهم وشدوا على رحالهم ، فصرح بشكواه (إلى الله أشكو) وأنَّه طروب فرح إذ ما هبت عليه الجنوب ، ثم هو لا ينفك يذكر الريح وكأني بها الرسول الأمين لسره فلا يُفشي ، مما جعله يُصيِّر من (علوي الريح) قريبًا ونسيبًا ، ثم هو يعشق منازل الحي وإن لم يأتها وكل هذا متعلق بالعاطفة وهي (الحب) لذا أراه لا يكتفي بذكر الريح التي تأتيه منها ولا مواطنها بل هو يجزع من هذا كله ؛ ليخبر أن الدنيا لا خير فيها إذا لم يكن فيها زيارة حبيب .

ويبدو أن المَرَّار كان ذا عاطفة متوازنة إذ إنه لم يرض بزيارة الحبيب بل راعى أن يكون الحبيب طربًا بهذه الزيارة وفرحا بمحبوبة .

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٣٦٢/١ .

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي : ١٣٣٢/٢ .

والمَرَّار مع هذا التوازن يبقي للعاطفة نصيبها في حكمه على الأشياء حبًا وكرهًا ، فالحب يجعل من الرياح المكروة عنده (رياح الشام) رياح محبوبة وطيبة .

ثم هو يقترب أكثر من الغزل الحسي ليحسد الغصن الناعم ؛ إذ إن المحبوب يمسكه ويحركه على أسنانه ليرتوي من ماء فمه ، وقد أحسن وأجاد في هذه الصورة من التشبيه إذا لم يكتف بتشبيه أسنانها بالبرد فذكر الماء الذي يزيد أثر تحرير الغصن في الفم ، ثم هذا الغصن اللين يرتوي من هذا الماء .

ويلاحظ أنَّه أجرى الصور المؤثرة بالتتابع فبدأ بأكثر الصور إثارة للوجد والشوق وهي صادرة من حبيب ، وهي صورة تحريك الغصن في الفم فكم يا ترى لها من أثر على العاشق ، ثم هو خبير بهذه الأسنان التي هي برد قد اختلطت بالعسل ، ثم يأتي إلى أن هذا الغصن قد (تَسَقَّى) ، والفعل مضعف أي استقى واستقى حتى ارتوى ، ثم ينتقل إلى صورة كثيرة الورود وهي أنَّها تمسك الغصن بأصابع كأنَّها الحرير الأبيض وقد خُضبت ، وجاء (بخضيب) فعيل صيغة مبالغة ، أكد من خلالها على وضوح الخضاب وظهوره ، وهو أكمل للزينة .

هذا النص قد شحنه الشاعر بالعاطفة ، وهيَّأه لقبول المتلقي في زمنه وبعد زمنه فهذا الشوق والوجد على المحبوب الذي جعل من غير العاقل رسولاً له وأحب الأشياء المكروة من أجله وزاد حبه التي يحبها بسببه وحسد وغار من غصن لا يُحسد ولا يُغار منه ، وحكم على الدنيا بغير حبيب يُزار فيفرح ، أنَّها دنيا لا خير فيها ، مثل هذا النص جدير بالقبول .

٤- الحالية :

إن السياق الذي يرد به النص له أهمية كبيرة وأثر ظاهر على قبول المتلقي له ، فحال المنتج تترك أثرها على المتلقي ؛ ليقبل النص أو يرفضه . فالسياق الحالي أو السياق غير اللغوي أو السياق الخارجي هو الذي « تتفاعل فيه

مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف»[1] ويتضمن «الظروف المحيطة بالحدث الكلامي ، سياق الموقف ، العصر ، نوع القول وجنسه ، اللغة أو اللهجة المستعملة ، المتكلم أو الكاتب ، المستمع أو القارئ ، العلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة ، الجنس ، العمر»[2].

ومن الأدلة على أثر حال منتج النص على قبوله أورفضه عند المتلقي قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (القصص:٢٠) .

فحال الرجل الناصح لسيدنا موسى (عليه السلام) قد أسهم مع القرائن الأخرى في قبول سيدنا موسى (عليه السلام) لهذا النص ، فلا شك أن موسى قد ساوره ما يساور أي قاتل ولو خطأ منه (عليه السلام) ولا سيما بعد ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (القصص:١٩) ، إن خبر قتل موسى (عليه السلام) ظهر وسيعلم الناس ، فلا شك من الخوف والترقب ، وعلى الرغم من هذا يظهر حال الرجل «رجل» نكرة غير معروف لسيدنا موسى (عليه السلام) وأنَّه جاء من أقصى المدينة فهو قد تحمل بعد المسافة فالأقصى الأبعد[3] كما أنَّه لم يأت ماشيًا ، وإنما جاء يسعى والسعي هو العدو ليس بشديد[4] ، لينتج من حال هذا الرجل بالإضافة إلى تأكيده لموسى أنَّه من الناصحين قبول لنصه وكلامه وأمارة هذا القبول هو الامتثال من سيدنا موسى يقول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ (القصص:٢١).

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٩١ .

(٢) الدلالة السياقية عند اللغويين ، د . عواطف كنوش المصطفى ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط/١ ، ٢٠٠٧م : ٧٦ .

(٣) يُنظَر : لسان العرب : (قصا) ، ١٣٨/١٥ .

(٤) يُنظَر : العين : (سعى) ٢٤٩/٢ ، البحر المحيط : ١٠٦/٧ .

وربما أن القبول من سيدنا موسى لهذا النص بلغ أبعد حَدٍّ له بدلالة فاء العطف التي تجانب التراخي ، والوصف (خائف يترقب) فيهما يقين من أنَّه ملاحق .

ويمكن في هذا المقام الاستشهاد بقصيدة (طهمان بن عمرو الكلابي) التي استجار فيها بالخليفة حتى لا تقطع يده ، وقد أبرز فيها مبررات حالية كانت مع عوامل أخرى سببًا في قبول النص . وهي قوله : [1] [الطويل] .

يَـدي يـا أَمِيْـرَ المـؤمنينَ أُعِيْـذُها ... بِحَقْوَيْكَ أَنْ تُلْقَـى بِمُلْقَـى يُهِيْنُهَـا

فَقَدْ كَانَتِ الحَسْنَاءَ لَـوْ ثَـمَّ شِـيْرُهَا ... وَلا تُعْـدَمُ الحَسْـنَاءُ عَابًـا يُشِـيْنُها

وإنَّك مَسْؤُولٌ بِحُكْمِكَ فِـي يَـدي ... عَلَـى حَالَـةٍ مِـن رَبِّنَـا سَـتَكُونُها

تَشُدُّ حِبَالَ الرَّحْلِ فِـي كُـلِّ مَنْـزِلٍ ... إِلَيَّ شِـمَالٌ لا يَمِـيْنَ تُعِيْنُهَـا

دَعَتْ لِبَنِي مَرْوَانَ بِالنَّصْـرِ والهُـدى ... شِـمَالُ كَـرِيْمٍ زَايَلَتْهَـا يَمِيْنُهَـا

وإنَّ شِـمالاً زَايَلَتْهَـا يَمِيْنُـهَا ... لَبَـاقٍ عَلَيْهَـا فِـي الحَيَـاةِ حَنِيْنُهَـا

وَقَدْ جَمَعَتْنِي وَابْـنَ مَـرْوَانَ حُـرَّةٌ ... كَلابِيَّـةٌ فَـرْعٌ كَـرَامٌ غُصُـونُها

وَلَوْ قَدْ أَتَى الأَنْبَاءُ قَـومِي لَقَلَّصَـتْ ... إِلَيْكَ المَطَايَا وَهْـيَ خُـوصٌ عُيُونُهَـا

وإنَّ بِحَجْـرٍ وَالخَضَـارِمِ عُصْـبَةً ... حَرُورِيَّـةً حَبَّـا عَلَيْـكَ بُطُونُهَـا

---

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٢٩-١٣٢ ، الحَقْوُ الخَصْرُ ومَشَدُّ الإزار ، وعذتُ بحقو فلان إذا استَجَرْتَ به واعتَصَمت . يُنظَر : الصحاح : (حقا) ٢٣١٧/٦ ، لسان العرب : (حقا) ، ١٨٩/١٤-١٩٠ . وعابًا : العَابُ والعَيْبُ والعَيْبَةُ : الوَصْمة . لسان العرب : (عيب) ٦٣٣/١ . والخَوَصُ : ضيق العين وغئورها . العين : (خوص) ٤٥١/١. والخَضارِم : بفتح أوله ، وكسر رائه : واد بأرض اليمامة أكثر أهله بنو عجل ، وهم أخلاط من حنيفة وتميم ، ويقال له جوّ الخضارم ، معجم البلدان : ٣٧٦/٢ . والحِبَنُ : داءٌ يأخذ في البَطنِ فيعظُم منه ويَرِم ، وقد حَبِنَ ، بالكسر ، يَحبَنُ حَبَنًا ، وحبِن حَبَنًا وبه حَبَنٌ . ورجل أَحبَنُ وحَبِنَ عليه : امتلأ جوفه غَضَبًا . يُنظَر : لسان العرب : (حبن) ١٠٤/١٣ .

إذا شَبَّ مِنْهُمْ ناشِئٌ شَبَّ لأعِنَا لِمَرْوَانَ والمَلْعُونُ مِنْهُمْ لَعِينُها

هذا نص في الاستعطاف وعلى الرغم من اختلاف الرواية في أن القصيدة قيلت لأمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ، بعد أن قطعت يده أو قيلت للوليد ابن عبد الملك ، فإن النص كان له القبول من متلقيه ، فإن كان هو عبدالملك بن مروان ، فقد « جعل له أيمان مائة من بني حنيفة فمات قبل أن يصل إلى اليمامة »[1]، وهي أمارة على قبوله هذا النص وإن كان المتلقى الوليد ابن عبد الملك ، فتكون أمارة القبول أظهر إذ إنه عفا عنه وخلى سبيله [2].

والذي جعل هذا النص مقبولا حال الشاعر الذي نقله لمتلقيه فهو يبدأ بالاستجارة بأمير المؤمنين ، وهي حالة من الضعف والشكوى لما أصابه والحالة الثانية حالة العجز ، فله شمال تشد الرحال لا يمين تعينها فهو عاجز ثم الحالة الثالثة ؛ وهي حالة الولاء والطاعة ، فهو يدعو بها لبني مروان بالنصر والهدى ، ثم يعود إلى حالة رابعة وهي الاستعطاف ، وقد استعار لنفسه يده ، يقول :

وإنَّ شِمالاً زَايَلَتْهَا يَمِينُهَا لَبَاقٍ عَلَيْهَا فِي الحَيَاةِ حَنِيْنُهَا

ويكمل استعطافه للأمير أنَّه يجمعه وإياه قرابة من جهة لأُم ، ثم إن هذه القرابة تظهر لو (يبلغ قومي نبأ يدي وخبر حالي) فإنهم سيأتون إليك شافعين من مواطنهم البعيدة « لقلصت إليك المطايا وهي خوص عيونها » لا ينسى الشاعر نصيب قومه من الحفيظة ؛ فيصف قومه إنه لو أصيب بحكم من الأمير لحقد القوم عليه حتى امتلأت بطونهم داء عليه » .

وإنَّ بِحَجْرٍ وَالخَضَارِمِ عُصْبَةً حَرُورِيَّةً حَبَّتْ عَلَيْكَ بُطُونُهَا

ومع هذا يري أن من يلعن منهم بني مروان فهو الملعون .

---

(١) يُنظَر : شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٣٢ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٣٢-١٣٣ .

المبررات اللغوية :

إن المبررات هنا تظهر في الجانب اللغوي ، ولا يمكن فصلها بحال عن سياقها الذي تأتي به غير أن لها الأثر الظاهر في قبول النص ، وقد وقفت على بعض منها غير زاعم أني أحصيتها في العربية أو وقفت على كل أنماطها . فقد اكتفيت بثلاثة مبررات منها :

أولا : التكرار :

لتكرار الكلام تأثير على المتلقي يعكس المنتج فيه صدقه لينال القبول ، فهو به ينفي الكذب عن نفسه ؛ ففوائد التكرار في النص عديدة « منها التقرير ، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول» [(١)].

ويكون التكرار في العربية بإعادة أعيان الألفاظ كما في التوكيد اللفظي الذي هو تكرار لفظ الحرف أو الفعل أو الاسم [(٢)] . ولعل قصيدة (مالك بن الريب) في رثاء نفسه خير مثال على التكرار في شعر الصعاليك ، وهي قصيدة من عيون الشعر العربي بلغت اثنين وستين بيتًا[(٣)]،وهي يائية من بحر الطويل والتكرار فيها في ثلاثة أساليب[(٤)] هي (التمني ، وأسلوب المح بـ(لله در) وأمر الأصحاب (بفعل الأمر).

ومنها أيضًا تكرار التحسر على الماضي بقوله (وقد كنت) في الأبيات (٣١، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ، وللدكتور (عبد الله الطيب) وقفة مهمة مع التكرار في

---

(١) الكليات : ٢٧٠ . ويُنظَر : الإتقان : ٥٥٣ .

(٢) يُنظَر : شرح المفصل : ٣٩/٣ .

(٣) يُنظَر : ديوان اللصوص : ١٧٧/٢-١٨٥ ، شعراء أمويون : ٤١/١-٤٨ ، فيه ثمانية وخمسون بيتًا .

(٤) إن الصيغ اللغوية المتكررة في هذه القصيدة هي أكثر مما ذكرت هنا غير أن الذي ذكرته هو أبرز الصيغ وأظهرها مما أغناني عن التتبع والاستقصاء لغيرها من صيغ كمثل لا الناهية التي تكررت ـ ثلاث مرات في الأبيات (٢٦، ٢٩، ٣٦) .

القصيدة ، ذكر منها تكرار (خراسان) وتكرار (الدر) وغيرهما ، وما خصصته بالبحث تناولته من حيث لم يتطرق إليه الدكتور الطيب[1] . وهي على نحو ما يأتي :

الأسلوب الأول : التمني

- التمني : (ليت شعري) في الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤٤ ، ٤٧) وفي البيت رقم (٤٩) عطف (هل أترك العيس) على ما في البيت رقم (٤٤) «فياليت شعري هل تغيرت الرحا» . كما أن التمني وقع في البيت رقم (٤) بالأداة (لو) من قوله :

لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَى لَوْ دَنَا الغَضَى مَزَارٌ وَلَكِنَّ الغَضَى لَيْسَ دَانِيَا

تعدد ما تكرر به التمني في هذه القصيدة هو سبعة مواضع ، ودلالة ذلك صدق هذا التمني ومكانة ما يتمناه في نفسه ؛ مما يجعل من النص على وفق هذا التكرار مقبولاً بمستوى معين من جهة المتلقي ، دون إغفال العوامل الثقافية المؤثرة على هذا القبول ، ولا سيما أن الشاعر معه صحبة هم من تلقوا هذا النص وهم غالبًا على دراية كافية بحال مالك بن الريب في دياره ، مما تدعوهم إلى القبول مثل هذا النص ولو من جهة حقيقة ما يتمناه .

الأسلوب الثاني : أسلوب المدح بـ(لله در) .

الدَّرُّ في الأصل اللبن ؛ وهي صيغة من صيغ المدح فلله دره أي عمله[2] ، تكررت هذه الصيغة في ثمانية مواضع من هذه القصيدة ؛ وهي في الأبيات المرقمة (١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨) . وفي البيت الثامن عشر ثلاثة مواضع .

وهذه المواضع كلها يمدح ما ترك خلفه في دياره ووَجَّه الصيغة إلى غيره باستثناء الموضع الذي في البيت رقم (١٤) ، فالموضع الثاني هو : «دَرُّ الظباء» ثم «دَرُّ كبيري» ، ثم دَرُّ الرجال الشاهدين ، ثم «دَرُّ الهوى» و«دَرُّ حاجاتي»

---

(١) يُنظَر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٢/٥٣٦-٥٤٥ .

(٢) يُنظَر : اللسان : (در) ٤/٢٧٩-٢٨٠ ، الخزانة : ١/٤١٩ .

و« دَرُّ انتهائيا » وهذا التكرار في المدح وبهذه الصيغة يكون له نصيب من القبول في نص مثل نص (مالك بن الريب) ، وذلك أن المدح يصدر من منتج (الشاعر) قد أيقن بالموت في طريق الغربة ؛ مما يستعدي هذا التذكر وخير ما يذكر مثله فضائل بيته وأهله ورفاقه وخير أيامه وخير أعماله . فعند مجيء مثل هذا التكرار ليس للمتلقي الذي له الحد الأدني من معرفة ظروف الشاعر إلا القبول به وتسخيره لقبول النص الذي ورد فيه . كما يلاحظ أن الصيغة (لله دَرُّ) مناسبة لتكرارها ؛ لأنَّ الشاعر كان في حالة رجاء وهو ينازع مما استعدى أن يذكر ممدوحيه بتصدير (لله دَرُّ) أي لله عملك وعطاؤك في نسبة ما يمدحون به لله عز وجل فناسب ذلك رجاءه رحمة ربه .

الأسلوب الثالث : خطاب الأصحاب (صيغة الأمر) .

يخاطب صاحبيه ويأمرهما بصيغة الأمر ، وقد يلتفت عن المثنى إلى الجمع فيكون صرح بالجماعة مرة . وكنى عنهم بالتثنية مرات أُخر ، وقد يخاطب الواحد من أصحابه ، وقد وردت صيغة الأمر في مخاطبة صاحبيه في هذه القصيدة ثمان مرات ، وهي في الأبيات المرقمة : (٢٥، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٧) وقد أمر المخاطب مرتين في البيتين المرقمين (٥٣ ، ٥٤) بصيغة النداء لنكرة غير مقصودة (فيا صاحبًا إما عرضت فبلغا) في الأول وفي الآخر فعل الأمر (عَرِّ) من قوله : (وعَرِّ قلوصي في الركاب) .

وقد أورد الجمع (الأصحاب) في الأمر مرة واحدة بقوله في البيت (٢٤)[1].

أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ يَقِرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا

---

(١) ضبط الدكتور نوري حمودي القيسي (شعراء أمويون : ٤٤/١) وتبعه الدكتور محمد نبيل طريفي (ديوان اللصوص ١٨٠/٢) بالكسر في همزة (أن سهيل) وما أثبته هو بالتوافق مع الدكتور عبد المعين الملوحي في أشعار اللصوص وأخبارهم : ٣٢٠/١ ، وهو ضبط البغدادي في خزانة الأدب : ٢٠٤/٢ .

فقد كرر (مالك بن الريب) صيغة الأمر في مخاطبة أصحابه في قصيدته إحدى عشرة مرة ، وداعي هذا التكرار هو أن الذي يدركه الموت وتنزل به المنية يحتاج إلى أن يوصي ، ووصية المنازع عادة ما تكون من أو آخر كلامه وهذا يجلب الحرص من الموصي على الإلحاح والتأكيد على ما يريد ، والأمر وصيغته أولى من غيرها في هذا المقام ؛ لذا نرى الشاعر يكثر من تكرار هذه الصيغة ، والمخاطبون بهذه الأوامر هم أصحابه ، لا شك في قبولهم لها وقبول النص التي وردت فيه ، إذ إن عادة الأصحاب في مثل موقف الموت يكونون من أحلم الناس على المحتضر ، وأرغب الناس في تلبية أوامره وهذه الرغبة هي من قرائن القبول .

وبعد هذا العرض يتبين أن للتكرير أثره وسلطته على المتلقي حتى يصير سببًا لوصول النص إلى القبول وهو بغية المنتج ورغبته ، وهذا التكرار بطبيعة الحال تأكيد لما يريده المنتج للنص فـ «يكون لإزالة الشك ونفي الإنكار مع السامع ، كذلك يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم ونيل الرواج والقبول من السامع»[1] .

ثانيًا : التعليل :

يعرفه الكفوي بقوله «هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فَيُقَدِّم قبل ذكره علة وقوعه : لكون رتبة العلة متقدمة على المعلول»[2].

وقد ذكر السيوطي فائدة التعليل وهي «التقرير والأبلغية فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة وغيرها»[3].

فالنص الذي تقوم قضاياه على تعليل من منتجه يسلك سبيل القبول إلى المتلقي ، وللتعليل أدواته ، وقد سبق الكلام عنها [4].

---

(١) الكليات : ٢٦٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٤ .

(٣) الإتقان : ٥٦٩ .

(٤) يُنظَر : مبحث : الربط .

منها حروف العلة «اللام وإن وأن وإذ ، الباء وكي ومن ولعل»[1]. وغيرها.

ومن الأمثلة على مبرر التعليل في شعر الصعاليك قول طهمان بن عمرو الكلابي[2] : [الطويل] .

يُزَيِّنُ مَـا أَعْطَيْـتُ مِنِّـي سَـمَاحَةٌ وَ وَجْـهٌ إِلى مَـنْ يَعْتَرِيْـهِ طَلِيْـقُ
تَـرُوكٌ لِطَيْـرَاتِ السَّـفِيْهِ تَكَرُّمًـا وَذُو نَـزَلٍ عِنْـدَ الحِفَـاظِ غَلُـوقُ

فجاء بالمفعول لأجله (تكرمًا) وبه علل تركه لأفعال السفيه ، وعدم التعرض لها ؛ مما جعل مثل هذا النص مستدعيًا لقبول المتلقي أكثر من لو أنّه أجرى الكلام من غير تعليل . ومنه أيضًا قول القتال الكلابي : [3] [الطويل] .

نَشَـدْتُ زِيَـادًا والمَقَامَـةُ بَيْنَنَـا وَذَكَّرْتُـهُ أَرْحَـامَ سِـعْرٍ وهَيْـثَمِ
وَلَمَّـا دَعَـانِي لَـمْ أُجِبْـهُ لأَنَّنِـي خَشِيْتُ عَلَيْـهِ وَقْعَـةً مِـنْ مُصَـمِّمِ

يكون القبول في مثل هذا النص من خلال التعليل ؛ لأن الشاعر لو تركه لكان من الممكن أن يُحمل على غير مراده ، فقد يسري إلى الذهن أنه جبان يهاب اللقاء ؛ لوجود (لم أجبه) ، ومن قبلها ينشد الخصم أن لا يلاقيه ويذكره الرحم بينهما ، لكنّ التعليل جاء مبينًا لحال الشاعر ومراده (لأنني خَشِيْتُ عَلَيْه وَقْعَةً مِنْ مُصَمِّمٍ) مما أسهم في رفع مقبولية النص .

ونحو هذا ما جاء في قول المرار الفقعسي[4] : [الكامل] .

---

(١) الإتقان : ٥٦٩ .

(٢) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٨ . ورجلٌ ذُو نُزَل : كثيرُ الفضل والعطاءِ والبركة . لسان العرب : (نزل) ٦٥٩/١١ . والمُحافظة والحِفاظ : الذَّبُّ عَنِ المَحارِم والمَنْعُ لَهَا عِنْدَ الحُروب . لسان العرب : (حفظ) ٤٤٢/٧ . والغلوق : احتد فلانٌ فنشب في حدته فَغَلِقَ أي : غَضِبَ . العين : (غلق) ٢٨٧/٣ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٨٩ . يقول الأعلم الشنتمري : «المقامة جماعة الحي يريد موضعهم وديارهم فعبر بها عنهم وسعر وهيثم جدَّاهما» شرح حماسة أبي تمام : ٣١٩/١ .

(٤) شعراء أمويون : ٤٧٠/٢ .

شَقِيَتْ بَنُو سَعْدٍ بِشِعْرِ مُسَاوِرٍ إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ

كيف تشقى بنو سعد بشعر شاعر ، لكنه مبالغة في الهجاء نال به من الشاعر بما ناله من عشيرته ، والذي يجعل من هذا مقبولاً ما جاء به من تعليل ، فـ(إن الشقي بكل حبل يخنق) فبنو سعد أشقياء عند المرار ؛ لأن شاعرًا مثل مساور في ضعف شعره منهم .

ثالثا التقريب :

جاء التقريب في البلاغة العربية وسيلة لقبول الغلو وهو ما كان من المبالغة في غير التبليغ الذي يقع فيه «المُدَّعَى إن كان ممكنًا عقلا وعادة»[1] أو الإغراق الذي يقع «إن كان ممكنًا عقلا لإعدة»[2]، والغلو غير مقبول في عرف البلاغيين إلا إذا اقترن بما يُقَرِّبه إلى الصحة أي : إمكانية الوقوع .

ولهذا التقريب أدواته اللغوية منها (كاد ، لو) يقول (الكفوي) : «كل من الإغراق والغلو لا يُعَدُّ من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقربه من القبول مثل (كاد ، و(لو) وما يجري مجراهما من أنواع التقريب»[3].

١- كاد :

فعل ناسخ من أخوات كان يفيد المقاربة[4] ويكون خبره فعلا دون الاقتران بـ(أن) وقد تدخل عليه وهو قليل[5] ، والمقاربة في (كاد) على سبيل الوجود

---

(١) التلخيص : ٣٧١ .

(٢) التلخيص : ٣٧١ .

(٣) الكليات : ١٥٢-١٥٣ ، الذي يعني البحث هنا ما قربت أحدى الأدوات اللغوية؛ لأن من التقريب ما يكون من غير أداة مثل «ما تضمن نوعًا حسنًا من التخييل» يُنظَر : التلخيص : ٣٧٣ . كما أن التقريب هنا يراد به تقريب المعنى إلى الذهن ، وليس مجرد القرب الزمني الذي يقع من خلال بعض الأدوات مثل (قد) في «قد قامت الصلاة» يُنظَر : الجنى الداني : ٢٥٥ .

(٤) يُنظَر : شرح التسهيل : ٢٨٩/١ ، شرح ابن الناظم : ١١٠ .

(٥) يُنظَر : المقرب : ٩٨/١ .

والحصول ، « فإذا قلت كاد زيد يفعل ، فالمراد قرب وقوعه في الحال إلا أنَّه لم يقع بعد ؛ لأنَّك لا تقوله إلا لمن هو على حدِّ الفعل كالداخل فيه لا زمان بينه وبين دخوله فيه »[1].

وقد وردت في شعر جعفر بن علبة الحارثي إذ يقول : [2] [الطويل] .

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ إِلَيَّ وَبَابُ السِّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ

أَتَتْنَا فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

يعجب الشاعر كيف أن محبوبته تمكنت من زيارته في سجنه وباب السجن مغلق دونه ، بل يبالغ في خياله أنَّها أتته فحيَّته فأوجز ، فقال : (ثم قامت فودعت) ، فأوحى أنَّه جالسها وجرى بينهما الكلام لزمن ؛ لأنَّه عطف بـ(ثم) لتراخي الوقت بين مجيئها وقيامها ، ثم قال (قامت) وبه إشارة إلى أنَّها جلست عنده ، وهنا جاءت حسرته على فراقها بقوله (كادت النفس تزهق) ؛ أي : لتوليها عنه ، وهذه المبالغة منه لعظم حسرته على فراقها جاءت مقبولة بدخول (كاد) ؛ أي : قاربت نفسي تزهق ، ولو جرد كلامه من هذه المقاربة لجاء غير مقبول لغلوه في المبالغة .

٢- لو الامتناعية :

تكون حسب الجملتين بعدها ، فإن دخلت على جملتين مثبتتين كانت حرف امتناع لامتناع مثل : (لو قام زيد لأحسنت إليك) ، وإن دخلت على جملتين منفيتين تكون حرف وجوب لوجوب نحو : (لو لم يقم زيد لم يقم عمرو) ، وإن دخلت على جملتين الأولى مثبتة والثانية منفية ، كانت حرف امتناع لوجوب نحو : (لو يقوم زيد لما قام عمرو) ، وتكون حرف وجوب لامتناع إذا دخلت على جملتين الأولى منفية والأخرى مثبتة ؛ مثل : (لو لم يقم زيد لقام عمرو)[3].

---

(١) شرح المفصل : ١١٩/٧ .

(٢) ديوان اللصوص : ١٨٨/١ .

(٣) يُنظَر : رصف المباني : ٢٨٩ ، الجنى الداني : ٢٧٧ .

وجواب (لو) يكون فعلاً ماضيًا مثبتًا أو منفيًا ويكون مضارعًا منفيًا وتقترن اللام مع الماضي المثبت كثيرًا [1] ، مثالها فيما يقول القتال الكلابي : [2] [الطويل] .

أَعَالِيَ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى غُصْنٍ رَطْبٍ لَأَصْبَحَ ذَاوِيَا

هنا (لو) حرف امتناع لامتناع لدخولها على جملتين مثبتين ، ووقع جوابها فعلا ماضيا مقترنا باللام ؛ فالغصن الرطب لم يذوِ ؛ لأنَّه لم يشكُ ما أصابه إليه .

والمبالغة واقعة إذا لو أنَّه شكا كل هموم الناس إلى غصن رطب لم يذوِ لها ولا تأثر بشكواه ، فمجيء الحرف الامتناعي (لو) جعل من هذه المبالغة مقبولة لدى متلقي هذا النص ؛ لما أفاده من تقريب .

٣- لولا : الامتناعية :

تكون حسب الجملتين بعدها ،فإن كانتا مثبتتين فهي حرف امتناع لوجوب: مثل : (لولا زيد لأحسنت إليك) وإن كانتا منفيتين ، فهي حرف وجوب لامتناع نحو : (لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك) وإن كانتا مثبتة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب ، مثل : (لولا زيد لم أحسن إليك) إن كانتا منفية ومثبتة فهي امتناع لامتناع مثل : (لولا عدم زيد لأحسنت إليك) .

وجوابها إن كان مثبتًا اقترن باللام وإن كان منفيًا لم يقترن ، ويجوز حذفها مع الجواب المثبت واقترانها مع الجواب المنفي ، وتعرب (لولا) حرف ابتداء عند دخولها على الاسم الظاهر أو ضمير رفع منفصل ، وتعرب حرف جر عند

---

(١) يُنظَر : الجنى الداني : ٢٨٣ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٩٤ وفيه : لأصبح باليا وما أثبته من الأغاني : ٨٩/٢٤ ، وديوان اللصوص : ١١٠/٢ .

دخولها على ضمير متصل ، ويكون خبر المبتدأ بعدها واجب الحذف[1] ، ويمكن التمثيل لها بما ورد في قول الخطيم المحرزي[2] : [الطويل]

فَلَوْلا قُرَيْشٌ مِلْكُهَا مَا تَعَرَّضَتْ لِيَ الجِنُّ بَلْهَ الإِنْسُ قَدْ عَلِمَتْ قَدْرِي[3]

و(لولا) في البيت حرف وجوب لوجوب ؛ لدخولها على جملة مثبتة (قريش ملكها) ، وجملة منفية (ما تعرضت لي الجن) ، فلوجود ملك قريش وجد تعرض الجن .

وفي البيت مبالغة غالى فيها الشاعر فكان لدخول (لولا) كسر لهذا الغلو ؛ ليكون ضربًا من المبالغة المقبولة : فالنص قبل لولا هو : (وجد ملك قريش فتعرضت لي الجن) وهذه مبالغة لا تقبل بحال من إنسان لم يعصم ، وقد ثبت نصيب الجن من بني آدم بقواطع الأدلة من الكتاب العزيز[4] ، بوجود قريش وبعدم وجودها .

---

(١) يُنظَر : رصف المباني : ٢٦٢-٢٩٦ ، الجنى الداني : ٥٩٧-٦٠٤ .

(٢) منتهى الطلب : ٢٤٦/٣ ، وشعراء أمويون : ٢٥٦/١ ، وفيه (سلكها) .

(٣) وبله تكون اسم فعل بمعنى دع ، فتنصب المفعول ، وهي مبنية ، نحو : بله زيداً . وتكون مصدراً بمعنى ترْك ، النائب عن اترك ، فتستعمل مضافة ، نحو : بله زيد . وهو مصدر مضاف إلى المفعول ، وقد تكون بمعنى كيف ، فتقول : بله زيد؟ بالرفع . وقيل : هي اسم فعل ، بمعنى : بقي وعدها الكوفيون والبغداديون من أدوات الاستثناء ، وأجازوا النصب بعدها ، على الاستثناء ، نحو : أكرمت العبيد بله الأحرار . وذهب جمهور البصريين إلى أنها لا يستثنى بها ، وأنه لا يجوز فيما بعدها إلا الخفض . وذهب بعض الكوفيين إلى أن بله بمعنى غير . وذهب الأخفش إلى أن بله حرف جر . يُنظَر : شرح الرضي : ٩٣/٣-٩٤ ، الجنى الداني : ٤٢٤-٤٢٦ ، مغني اللبيب : ٢٠٤/٢-٢٠٧ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام:١١٢) ، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ (الأنعام:١٢٨) .

ثم من ذا الذي عرف قدرهُ الأنس ، ليكون شاعرنا الصعلوك بهذه المنزلة ، غير أنَّه قرب ما أراده من مبالغة بإدخال (لولا) ليكون لقصده الرواج ولمراده السداد .

٤ - التشبيه :

إن التشبيه الذي هو « الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى »[١]. هذا المعنى يكون ظاهراً في المشبه به مشتهر به[٢] ، ومن هنا جاء التقريب للمعنى المقصود في المشبه ليكون قريب من المشبه به من خلال وجه الشبه بينهما .

وما ذكره القزويني في هذه المشاركة دون تحديد أحد أحرفه يدخل فيه جميع أدوات التشبيه ؛ وهي : الكاف وكأن ومثل وشبه وشابه وما يرادفها من ألفاظ[٣] .

والغرض العائد إلى المشبه في التشبيه ، منه ما يمكن إدراجه تحت عموم التقريب يقول (السكاكي) عنه : « إما أن يكون لتقوية شأنه عند السامع وزيادة تقرير له عنده ، وإما أن يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه أو الاستطراف وما شاكل ذلك »[٤].

فـ(كأن) الواردة في قول السمهري العكلي[٥] : [الطويل]

كَأَنَّ وَمِيْضَ البَرْقِ بَيْنِي وبَيْنَها إذا حَانَ مِن بَيْنِ الحَدِيْثِ ابْتِسَامُها

شبّه الشاعر بها بياض أسنان محبوبته عند ابتسامها بوميض البرق ، وهو مشابه له عنده في أكثر من وجه ، فوميض البرق غير مستمر بل منقطع وبه

---

(١) التلخيص : ٢٣٨ .

(٢) يُنظَر : مفتاح العلوم : ٤٥٣ ، التلخيص : ٢٦٤-٢٦٥ .

(٣) يُنظَر : التلخيص : ٢٦٢ .

(٤) مفتاح العلوم : ٤٤٨ .

(٥) شعراء أمويون : ١٤٧/١ .

وصف الشاعر (إذا حان من بين الحديث) ، فهي تتبسم له أثناء كلامها وفيه تقطع وعدم تواصل كما البرق ، وكلمة (وميض) توحي بهذا المعنى وتدل عليه[1]، وقد أراد من البرق بياضه ولمعانه ؛ ليكون وجهًا مُقرِبًا لبياض أسنانها[2] .

ووجه الشبه غير ملفوظ في هذا التشبه ، والمشبه هو (ابتسامها) والمشبه به (وميض البرق) ، وقد وقع التقريب في هذا التشبه بالأداة (كأن) ، إذ لا يقبل أن يكون التطابق تاما في وجه الشبه بين وميض البرق وتبسم محبوبته ، ولكن قُبِل هذا الغلو وهذه المبالغة باستعمال هذه الأداة على وجه المقاربة لا المطابقة .

تجدر الإشارة هنا إلى أن ما ذكرت في هذا المطلب من وسائل لغوية للتقريب يمكن أن يقاس عليها مباحث لغوية أُخرى لم أشأ الإسهاب فيها ، فاقتصرت على ما يُبرِّز دورها لقبول النص الذي تضمنها ؛ فمنها ما يمكن إدراجه تحت أحد العناصر المذكورة أيضًا كالقسم والحال المؤكدة والنعت المؤكد وعطف البيان وغيرها في مبحث التكرار ، و(أما) التفصيلة والاستدراك والتفسير تحت مبحث التعليل .

* * *

(١) يُنظَر : مقاييس اللغة : ٦/١٤٦ ، اللسان : ٧/٢٥٢ .

(٢) يقول الزمخشري : «ومن المجاز أومضت المرأة ، تبسمت ، شبه لمع ثناياها بإيماض البرق» أساس البلاغة : (ومض) ٢/٢٥٦ . .